الحج في الشرائع الإلهية
وأثره في ريادة مكة المكرمة تاريخيا

إن الدين الخاتم الذي اختاره الله تعالى لعباده ورضيه لهم ، وجاء بـــه محمد ﷺ هو الإسلام ، وذلك بنص القرآن الكريم ، حيث قال الحق سبحانه وتعالى : (وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً)(المائدة: من الآية3). وقد حدد الله لعباده شرائع يعبدونه بها ، قال تعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) (الحج:34) .

وفي الشرائع الإلهية من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ كانت شعيرة الحج موجـــودة، وقـــد حج إلى بيت الله الحرام رسل الله عليهم السلام ، ودعوا إلى أداء هذه الشعيرة ، فكانت مكة المكرمة والكعبة المشرفة مقصد الحجاج عبر التاريخ منذ آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ، وبمـــرور الزمان غير الناس في طريقة الأداء ، وبقي الأصل واحدا وهو القصد لبيت الله الحرام ، ففي الجاهلية على سبيل المثال كان بعض العرب يطوفون بالبيت الحرام عراة الأجساد ، مشبكين بين أصابعهم يصفرون ويصفقون، وقد سجل الله سبحانه عليهم هذه الحالة فقال مستنكراً : (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) (الأنفال: 35) . والمكاء : الصفير . والتصدية: التصفيق.

ولما جاء الإسلام اعتبر (الحج) الركن الخامس من أركانه ، ومعناه في الإسلام : القصد إلى الكعبة المشرفة في مكة لأداء مناسك معينة من الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمار في منى، والحلق والذبح تقربا إلى الله تعالى ، هذه العبادة تجب مرة واحدة في العمر .

ولما كان الحج ممتدا عبر الزمان ، ثابتا في المكان ، ظهر أثره في ريادة مكة المكرمة الدينية والسياسية عبر التاريخ .

وأمة الإسلام اليوم في أمس الحاجة إلى التعرف على معالم دينها الحنيف ، وتدرك مكانة مدينة الإسلام ومبعث الرسالة الخاتمة (مكة المكرمة) التي شرفها الله عز وجل للعالم ، وأقسم سبحانه بها فقال : (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) (التين:3) . وقال تعالى : (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) (البلد:1) .

وقد أحب رسول الله ﷺ مكة المكرمة وأشار إلى فضلها وخيريتها وحب الله تعالى لها، حين قال ﷺ: "علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت" (رواه أحمد: في مسنده حديث رقم (18366) . والحزورة عند باب الحناطين).

وفي هذه الدراسة التاريخية يحاول الباحث الاستدلال على أن شعيرة الحج منسك جاءت به جميع الشرائع الإلهية ، وأن هذه الشعيرة كان لها أثر بالغ في تحقيق ريادة مكة المكرمة زمانا ومكانا .

ويهدف الباحث من خلال هذه الدراسة الوصول إلى ضرورة إعادة هذا الدور الريادي لمكة المكرمة من جانب، والإسهام في بناء صرح الوحدة الإسلامية من جديد، في وقت تبحث فيه هذه الأمة عن ريادة مكانية وزمانية ، تمهيدا لوحدة إسلامية شاملة في كل مظاهر الحياة . وقد تمثلت هذه الدراسة فيما يلي:

المبحث الأول (تمهيدي) : مفاهيم ضرورية :

(أ) مفهوم الحج .

(ب) مفهوم الشرائع الإلهية .

(ج) بناء الكعبة المشرفة وعمارة مكة المكرمة .

المبحث الثاني : الحج في الشرائع الإلهية :

(أ) حج الملائكة عليهم السلام .

(ب) حج آدم عليه السلام .

(ج) ما من نبي إلا حج .

(د) وحدة شعيرة الحج في الشرائع الإلهية وتطور مظهرها عبر التاريخ .

المبحث الثالث : أثر الحج في تحقيق ريادة مكة المكرمة :

(أ) أثر الحج في تحقيق ريادة مكة قبل الإسلام .

(ب) أثر الحج في تحقيق ريادة مكة في الإسلام .

الخاتمـــــــــة : التوصيات والمقترحات .